الخدمات الاستشفائية الصوفية في المغرب الأوسط من القرن 7–9هـ/13–15م

The Sufi hospital services in the central Maghreb from the7-9 the century AH /13-15AD

1- عبد النور ختالة * ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)،
مخبر الدراسات الأدبية والانسانية
a.khetallah@univ-emir.dz
2- مراد لكحل ، جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)
mourad.lakhal@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/01 تاريخ القبول: 2023/06/02 تاريخ النشر: 2023/06/04

ملخص:

نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على جانب من جوانب العمل الصوفي في المغرب الأوسط، والذي يتعلق بالخدمات العلاجية التي قدمتها متصوفته، للساكنين المحليين بالمنطقة، والتي اتخذت الطب الصوفي أهم وسيلة للعلاج و التداوي من الأسقام. اذن فيما تمثلت هذه الخدمات؟ ومنه سنعرض في هذه الدراسة المتواضعة الأمراض التي أصابت مجتمع المغرب الأوسط على وجه الخصوص، مع ذكر الخدمات الاستشفائية للمتصوفة وطرق علاجهم والنتائج التي توصلوا إليها.

كلمات مفتاحية: الأسقام، المتصوفة، الطب الصوفي، العلاج، المغرب الأوسط.

Abstract:

The current study aims to shed the light on one of the aspects of the Sufi work in the central Maghreb witch is related to the treatment services prors did by the Sufis of the central Maghreb to the social population who considered the Sufi medicine as an important method of treatment of diseases therefore the diseases that affected the central Maghreb society in particular and in the present attempt the Sufi hospital services will be mentioned and the methods they relied on to treat diseases and the results they reached as well.

Keywords: Diseases; the Sufis; the Sufi medicine; treatment; the central Maghreb.

*- المؤلف المرسل

- **مقدمة**

ترجمت المدونات التاريخية الإسلامية واقع الأمراض التي حلّت ببلاد المغرب الأوسط طيلة العصر الوسيط، سواء أمراضا نفسية أو عضوية و هذه الأخيرة كان لها الأثر البليغ على ذهنية ساكنته ، ومنه فقد نجم عنها انعكاسات على جميع مجالات حياة الإنسان ، خاصة في القطاع الطبي الذي تمخضت عنه إنجازات و ابتكارات طبية متخصصة في عدة مجالات كالطب العضوي و الطب النفسي و حتى الروحي أفادت منها الإنسانية جمعاء.

ومنه سنحاول أن نكشف في هذا المقال اسهامات أطباء التصوف في تشخيص المرض و علاجه و اهم الطرق العلاجية الصوفية التي أعطت نمطا جديدا ساهم بشكل كبير في معرفة أسباب الأمراض وتبيان طرق علاجها ، لإخراج المريض من وضعه الصحي المزري، إلى الوضع الصحي المعافى.

ومنه فقد شهد اقبال كبير خاصة من طرف الفئة العامة من المجتمع للولاة و أقطاب التصوف و شيوخ الزوايا للتداوي من الاسقام ، و يعود هذا إلى عدة عوامل مثل الفقر والتكاليف المحدودة أو المنعدمة نوعا ما في الدخل الأسري، كالطعام و الشراب للعائلة و هي بالطبع من الشريحة الدنيا من المجتمع التي تعاني الفقر و البؤس و الحرمان فتلجأ مباشرة إلى الطب الروحي البسيط التكاليف. إذن فيما تجلت الخدمة الاستشفائية الصوفية و ما أثرها على صحة المريض؟

والتي أدرجت تحتها جملة من الأسئلة الفرعية وهي من قبيل:

ما هي أبرز الخدمات الاستشفائية الصوفية المقدمة للمريض؟

فيما تمثلت المؤسسات العلاجية الصوفية؟

ما هي دوافع اللجوء إلى الطب الصوفي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يمكننا من رصد الخدمة الاستشفائية الصوفية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وتحليل كل المعطيات المدرجة أدناه.

1.أصناف الأمراض:

من خلال عرضنا لهذا العمل و المتضمن الخدمات الطبية التي قدمها المتصوفة لعلاج الأمراض و الأوبئة التي أصابت مجتمع المغرب الأوسط. يتوجب علينا ذكر هذه الأمراض ولو بالقدر اليسير من أجل تبيانها للقارئ، ثم سنعرض دور الطب الصوفي في علاجها و النتائج التي حققها ، وقد صنفناها إلى صنفين وهي كالآتي:

1.1الأمراض الروحية:

تناولت العديد من المصادر التاريخية في مضانها ،بعض الأمراض الروحية و النفسية التي أصابت ساكنتي المغرب الأوسط و يأتي في مقدمتها مرض الوسواس الذي فشا بشكل كبير في الفئة الحاكمة، و

لعل هذا يعود إلى تخوف السلطة من الطبقة الدنيا من المجتمع، فيذكر ابن قنفد القسنطيني أن الخطيب و القاضي في قسنطينة علي بن حسن بن قنفد (ت 644هـ 733هـ/1246-1332م)،كان مصابا بداء الوسوسة النفسية، فكان يشك في أي فرد من أفراد المجتمع ممن يلمس ثيابه أو يجلس على منبره، فيقوم بتطهير ثوبه و تنظيف منبره قبل القيام لتأدية صلاة الجمعة[1].

أما مرض مس الجن فهو من أشد الأمراض التي تؤثر على عقل المصاب فيصبح لا يستطيع التحكم في عقله بل يفقده تماما مما يترتب عليه حركات جسدية عنفية اعتباطية لا إرادية تتحكم فيها القوة الجنية، و علاجه يكون بقراءة القرآن الكريم عليه حتى يشفى و في هذه الحال سجل لنا التمبكتي حالة من هذا المرض الذي أصاب طالبا فقام الفقيه أحمد بن إدريس البجائي بعلاجه من خلال قراءة الفاتحة في أذنه[2].

كما كان الصوفي الغوث أبو مدين شعيب يستخدم العلاج الروحي لإخراج الجن من المريض، و العلاج الروحي بالطبع هو القرآن الكريم و الدعاء [3] ، أما مرض العين فقد قدمت لنا المصادر بعض الحالات عن هذا السقم، فقد ذكر ابن الصباغ أن الولي أحمد بن يوسف الراشدي بصق في فم الخطيب القلعي المشهور بالعين حتى برأ منها ، ولقد رصدت العامة تأثيره المرضي فكان من مشاهير المؤثرين بالعين في قلعة هوارة من أحواز تلمسان[4].

2.1 الأمراض العضوية:

عرف المغرب الأوسط انتشارا واضحا للأمراض الجسمية العضوية و الأوبئة الفتاكة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، بعض الأمراض التي عانى منها مجتمع المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، حسب ما أوردته المصادر التاريخية .

---

[1] _ ابن قنفد، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تح: محمد الشاذلي النيفر، و عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر، الاسكندرية ، 2002 ص45 46.

[2] _ **كفاية المحتاج**، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،2000، ص93.

[3] _ ابن الطواح، **سبك المقال لفك العقال**، تح : محمد محمود جبران ،ط2، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2007ص74.

[4] _ **بستان الأزهار**، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم، 1707 و 1 ظ .

كان هناك مرض يصيب الأمعاء يسمى بالسجج، حيث يترتب عليه إسهال و أوجاع شديدة في بطن المصاب ، ويرجع سبب هذا المرض إلى شرب الماء الملوث و الأغذية الفاسدة غير السليمة[1] ، إضافة إلى مرض البلعوم أو الحنجرة التي ينجم عنها التهاب الحلق و تورمه فترتفع درجة حرارة المريض، وكذلك مرض الذبحة أو النزلة ،وهي مرض صدري يسبب للمريض ضيقا في التنفس[2].

أما بالنسبة لمرض القرع فقد كان يصيب الأطفال و النساء بكثرة حيث يصعب الاستشفاء منه إلا بعد معاناة شديدة وعلاجه يستمر لفترة طويلة من الزمن ، وعرف أهل تلمسان مرض الصداع الذي يصيب الرأس لكن بدون حمى و كان هو الآخر شائعا بين الناس[3].

كما انتشر مرض العضال بين أفراد مجتمع المغرب الأوسط وهو داء خطير مزمن لا يبرأ منه صاحبه مدى الحياة ، ومن أشهر أعراضه دخول المريض في غيبوبة فلا يستطيع النطق ولا الرؤية و لا التحرك فهو شبه غائب[4]، كما يعد مرض الفالج من أخطر الأمراض المهلكة للإنسان و هو استرخاء جانب من البدن بكليته[5]، فقد أشارت المصادر إلى أن هذا المرض قد أهلك الولي الصالح أبو فرج المكي، ولم يبرأ منه إلا بإعجاز رباني[6].

و يذكر حسن الوزان داء المعدة الذي أصيب به الكثير من أفراد مجتمع المغرب الأوسط ، ومن أعراضه إسهال و أوجاع شديدة في الأمعاء، و يعود سبب ذلك إلى الإفراط في شرب الماء البارد[7].

أما بالنسبة للأوبئة فيعد مرض الطاعون من بين الجوائح الفتاكة التي حلت بالمغرب الأوسط فأهلكت المجتمع بجميع شرائحه، أشهرها الطاعون الذي وقع ما بين 748_750هـ[1] ومن بين أعراضه

---

[1] _ جمال شريقي، الطب و الأطباء في المغرب الأوسط. رسالة لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة المغرب الأوسط، جامعة قسنطينة(الجزائر)، 2014،ص19.

[2] _ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية ، عمرانية ، اجتماعية ، ثقافية**، ج1، موفم للنشر ، الجزائر، 2002،ص244.

[3] _ نفسه،ص244.

[4] _ ابن الصباغ ،**بستان الأزهار**، و19ب 32، سمية مزدور: المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة،(الجزائر)، 2009، ص 142.

[5] _ محمد العربي الخطابي،**الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية** ، المجلد العربي ،1988ص332.

[6] _ نفسه ،ص332.

[7] _ حسن الوزان ، **وصف إفريقيا**، ج1، نشر الكتاب بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض ، السعودية،1399هـ،ص83.

حسب ما وصفته النصوص المصدرية ،أن المصاب به يعرق لكن دون ارتفاع درجة الحرارة ، ثم يظهر عليه فتور في اليوم الثاني واضطراب كلي مصحوب بتشنج و برد في الأطراف و العطش المراري، ثم يبدأ المريض بالشعور بثقل صدره و الضيق في التنفس ويصاحب ذلك نفث دم ، وسعال ثم سواد اللسان أو تورم في الحلق ووجع في الرأس و دوار وغثيان[2].

و للطاعون عدة أنواع منها ما سمي بالطاعون الرئوي و هو أشد الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق، و كذلك الطاعون العقدي الذي تمثلت أعراضه في ظهور نتوء تحت الإبط أو خلف الأذنين و يوجد الطاعون الإنتاني أو القروح السود التي تظهر في مواضع معينة من الجسد خصوصا في الظهر و العنق[3].

2. المؤسسات الاستشفائية الصوفية:

1،2 الأضرحة و القبور:

اتخذت القبور كأحد المؤسسات الاستشفائية التي قصدها مرضى مجتمع المغرب الأوسط لنيل البركة والتضرع و التشافي ، ومن المتفق عليه أن الضريح هو قبر يكون لأحد أقطاب التصوف يتم بناؤه ووضع اسم عليه كي يعرفه القاصدون من الناس، ولعل أشهر ضريح في بلاد المغرب الأوسط الذي كان مقصدا للتداوي و للاستشفاء ضريح الصوفي الشهير أبي مدين شعيب ، فيعتبر من أكثر الأضرحة استقطابا للناس داخل جغرافية بلاد المغرب الأوسط وخارجه، حيث كانوا يزورونه ويخصصون قوافل للحج إليه[4]، يقول يحي بن خلدون، " **و قبره رضي الله عنه بالعباد مزور محجوج من مصر والشام و العراق،و السوس الأقصى**"[5].

إضافة إلى ضريح الصوفي أبي عبد الله الشوذي الحلوي، الموجود في من مدينة تلمسان حيث كان موضع مزار و مقصودا مباركا[6]، و بمدينة جزائر مزغنة يوجد ضريح الصوفي عبد الرحمن الثعالبي ، الذي صار مقصدا للزوار و مجمعا لطلاب البركة والشفاء[1].

---

[1] _ سمية مزدور،المرجع السابق،ص139.

[2] _ سمية مزدور،المرجع السابق، ص 140.

[3] _ نفسه،ص140.

[4] _ الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2009، ص ص601 602 .

[5] _ **بغية الرواد**، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011،ص126.

[6] _ نفسه،ص128.

كما توجد قبور المدن و البوادي و السواحل و هي خاصة بالمتصوفة الذين تم دفنهم عند أبواب المدن و أسوارها و في الطرق الرئيسية بالبوادي و عند السواحل ، و الهدف من دفنهم في هذه المواقع دفع العدو الخارجي القادم، و جلب البركة و الاستغاثة بهم عند حدوث الأزمات وطلب الشفاء من الأسقام [2].

و من بين القبور التي اشتهرت بهذا الصنف قبر الصوفي أبي يوسف يعقوب علي الصنهاجي بالمرج بين الأسوار ،خارج باب الجياد جنوب المدينة، و قبر أبي العباس أحمد بن منصور صاحب الصلاة، الحفيد خارج باب العقبة ، إلى جانب قبر الفقيهين أحمد بن نصر الداوي وابن عزلون وهما من الفقهاء الزهاد في القرن 5ه ، و قد كانت هذه القبور مراكزا للتبرك وطلبا للاستشفاء من الأسقام و الأمراض الفتاكة[3].

2.2 الزواية:

لعبت الزاوية دور المارستان في تقديم الخدمات الطبية ، حيث كان يقصدها الناس للعلاج والتطبيب، ومن أشهر الزوايا التي قدمت دورا بارزا في ميدان الخدمة الاستشفائية الطبية، زاوية الولي أحمد بن يوسف الراشدي بمليانة، فقد كانت مشهورة و مقصودة من طرف الزوار والمرضى[4] ، ومنه فقد أشار ابن الصباغ إلى أنه ما من مريض يدخل ضريح هذا الولي إلا و قد شفي[5]، وينطبق المثال كذلك على زاوية الولي الشيخ واضح فقد عرفت بإبراء ذوي العاهات لمن همه أمر الاستشفاء[6].

3.ظروف اللجوء إلى الطب الصوفي:

يعتبر الفقر أبرز دافع للجوء إلى العلاج الصوفي ، فيظهر أن هناك عائلات تميزت بالتكاليف المحدودة أو المنعدمة نوعا ما في الدخل الأسري، كالطعام و الشراب للعائلة و هي بالطبع من الشريحة

---

[1] _ أبو القاسم سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981ص84.

[2] _ الطاهر بونابي، المرجع السابق،ص604.

[3] _ نفسه،ص 606.

[4] _ منير بقرار، سوسيولوجية الطب و التطبيب ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ مجتمع المغرب الأوسط، جامعة محمد لمين دباغين ،سطيف(الجزائر)، 2016، ص137.

[5] _ بستان الأزهار و /30/ظ.

[6] _ منير بقرار، المرجع السابق ،ص137. نقلا عن المازوني **صلحاء وادي الشلف**، و/42/و

الدنيا من المجتمع التي تعاني الفقر و البؤس و الحرمان ،قاصدة بذلك الطب المجاني الصوفي الذي يعتمد في الغالب على التفل المقروء بالقرآن الكريم و البصق والمسح على الرأس[1].

كما تعتبر التكاليف الطبية الباهظة لتشخيص المرض و معاينته[2] من أهم الأسباب التي دفعت الطبقة الكادحة من مجتمع المغرب الأوسط إلى اللجوء للطب الصوفي قليل التكلفة، فالأولياء يقدمون خدمات طبية مجانية للمرضى من أجل كسب المريدين وتعاطف المجتمع معهم.

النتائج الطبية الإيجابية للأمراض المستعصية التي حققها الطب الصوفي و عجز الطب التجريبي عن علاجها[3] إضافة إلى أخطاء الأطباء أثناء عملية علاج المرض[4] الذي يترتب عنه أعراض دائية أخرى فيزداد الألم شدة و العلة اضطرابا، ومنه انعدمت الثقة بين المريض والطبيب التجريبي المعالج له .

نقص الإطارات الطبية و عدم قدرتها على استيعاب الحالات المرضية المتزايدة و تركزها بالمدن و العواصم السياسية، كما أن ما توفر منها قد وظف لخدمة كبار الساسة و أعيان الدولة و قد تعتبر نقابا يكفي كشفه لاستبيان قطيعتها لخدمة الجماعات السكانية[5].

4.الخدمات الطبية الصوفية:

1.4 الرقية:

الرقية هي أحد الأساليب العلاجية التي عرفها الإنسان منذ القدم[6] ، اشتقت من الفعل رق و هي العوذة التي يرقى بها المريض[7] و في الغالب هي مخصصة للمرض الروحي كالمس أو السحر أو العين الحاسدة، من خلال قراءة آيات من القرآن الكريم والدعاء للمريض بالشفاء، و لهذا اتبع أولياء المغرب الأوسط أسلوب التداوي بالرقية الشرعية لكونها علاجا مفيدا، كما خصصت أيضا لمداواة الأمراض العضوية.

---

[1] _ نفسه ،ص143.

[2] _ علي المكاوي، **الأنثروبولوجية الطبية دراسات نظرية و بحوث ميدانية**، القاهرة، 1996ص168.

[3] _ منير بقرار، المرجع السابق ،ص135.

[4] _ العقباني، **تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر** ،تح شنتوف ،ع، 1965، 19 1966،ص83.

[5] _ منير بقرار ،المرجع السابق ،ص136.

[6] _ عثمان بلود، الطب الشعبي بمنطقة تلمسان، دراسة تحليلية نقدية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد (الجزائر)، 2000 2001،ص104.

[7] _ **ابن منظور**،لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص 332.

فقد كان ابن مرزوق كثير الأمراض بالدماميل و الأورام الصعبة التي عجز الأطباء عن علاجها ، لكن بفضل رقية والده شفيّ من هذا المرض[1] ، و يذكر صاحب البستان أن الولي أبو العلاء المديوني ت 735هـ/1334م، من المتخصصين بالكشف عن المرض و علاجه عن طريق الرقية[2] .

يعد أحمد بن إدريس البجائي أحد رموز الطب الروحي حيث كان يداوي مرضاه بالرقية فقد مرّ بمصاب و معه بعض الطلبة فقرأ في أذنه الفاتحة فبرأ، و في يوم آخر مرّ الطالب على مصاب فقرأ الفاتحة في أذنه فتكلم الجان من فمه قائلا هذه الفاتحة وأين قلب أحمد بن إدريس،وهذه دلالة على أن أحمد بن إدريس أصبح معروفا في أواسط الجن، نظرا لتقواه وورعه ومدى تقدمه و بروعه في علاج هذه الأمراض[3] .

ومما لا شك فيه أن الأولياء كان معظمهم يعتقدون أن أسباب الأمراض تكون من أذى الجن للبشر ، لذلك اتبعوا الرقية كأسلوب أساسي لعلاج الكثير من الأمراض. أما بالنسبة لأجورهم ، فقد كانت تأخذ عن طريق الصدقات و الهبات من طرف عائلات المرضى.

2.4 التبرك بقبور الأولياء و الشرفاء:

اعتبر مجتمع المغرب الأوسط مؤسسة الزاوية و أضرحة الأولياء و المتصوفة مراكز للاستشفاء من الأمراض المستعصية، سواء الجسمية أو الروحية، وهذا غير منطقي و غير مقبول وكل هذا الفعل هو شرك بالله تعالى ومرتبط بالديانة الوثنية و تقديس الأجداد في العصر القديم، لكن الهدف منا هو إعطاء صورة أو فكرة عامة للقارئ عن طرق العلاج التي كان يلجا اليها مجتمع المغرب الأوسط ،اعتقادا منهم بأن الولي المتوفى لا تنقطع كرامته الاستشفائية حتى بعد وفاته[4]، لهذا كان قبر الولي أبي يعقوب بساحل مازونة مزارا للمرضى[5]، إضافة إلى قبر أبي العلاء المديوني [6] و قبر الشيخ أبي مسعود بن عريف عريف بجبال الشلف فقد كانوا مخصصين لشفاء ذوي العاهات[7].

---

[1] _ ابن مرزوق ، **المناقب المرزوقية**،ط1، تح: سلوى الزهري، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب،2008، ص 231.

[2] _ ابن مريم ، **البستان**، تح، محمد بن شنب،المطبعة الثعالبية، الجزائر،1908، ص70.

[3] _ سمية مزدور ،المرجع السابق،ص 175.

[4] _ ابن قنفد ، **أنس الفقير و عز الحقير** ،تح ، محمد الفاسي ،و أدولف فور،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط،1965ص 6 ،7.

[5] _ المازوني ،**صلحاء وادي الشلف مخطوط الخزانة** العامة ، الرباط، رقم 2343 و /114/و.

[6] _ ابن مريم،**البستان**،ص70.

[7] _ المازوني، **صلحاء وادي الشلف**، و /114/و.

كما نالت قبور الشرفاء اهتماما بالغا في علاج المرضى فقبر سيدي أبو سعيد الشريف الحسني المتواجد في شرق باب القرمدين ما زاره مريض إلا و برئ من مرضه، و قيل أنه كان مستجاب الدعاء[1]. كما صار قبر أبو عبد الله محمد الشريف يتداوى به من الأمراض والأوجاع[2]. ومن خلال هاته الأدلة المصدرية نستنتج مدى جهل مجتمع المغرب الأوسط لهذه الأفعال الخطيرة .

3.4 القراءة القرآنية مع اللمس و المسح على رأس المريض:

غالبا يتبع الرقاة هذه الطريقة في علاج المرض ، فيتم وضع يد الراقي على رأس المريض ويقرأ عليه آيات من القرآن الكريم، فيشفى ذلك المريض من العلة التي أصابته، خاصة المعيون و المسحور و المجنون.

كما اتبعت أيضا هذه الخدمة الطبية في علاج العديد من الأمراض العضوية[3]، فيذكر الصباغ أن علي بن زينب الدرجيني طلب من الولي أحمد بن يوسف الراشدي أن يقدم له خدمة طبية لمرض شديد قد أصابه، فقام الولي بالمسح على رأسه و قراءة آيات من القرآن الكريم عليه، فشفي من مرضه[4]، و يوجد مثال آخر ينطبق على بن محمد بن أقنيش القلعي الذي لمس أحمد بن يوسف فشفي من حالته المرضية[5]. وهي طريقة صحيحة حسب قول الفقهاء ولازالت تعتمد حتى الفترة الحالية الحالية عند الرقاة.

4.4 التفل :

يعتبر تفل الأولياء طريقة من طرق التطبيب الصوفي، فقد استعمله الأولياء في علاج المرضى، و يعد ريق الولي من بركاته التي يشفي بها الناس من المرض[6]، فالشيخ أبي الحسن كان يعالج المرضى بالتفل، فقام يوما ما ببصق أكلة خرجت في خد عبد الرحمن بن تومرت فشفي منها[7] وهذا ما يدل على على مدى ثقة السلطة الحاكمة بالطب الكرامي الصوفي.

---

[1] _ ابن مريم، المصدر السابق،ص72.

[2] _ ابن الصباغ، بستان الأزهار،و101 ظ.

[3] _ نللي سلامة العامري،، **الولاية و المجتمع**، منشورات كلية الآداب ،منوبة ، تونس،2001،ص354.

[4] _ ابن الصباغ، **بستان الأزهار**،و 18/ظ .

[5] _ منير بقرار، المرجع السابق،ص144.

[6] _ جمال شريقي، المرجع السابق،ص42.

[7] _ نفسه ،ص37.

كما اشتهر أبو العباس ابن مرزوق الذي كان يعالج مرض الدماميل و الأورام بالتفل و الرقية ثم الدعاء[1]، و هذا أبرز دليل على مدى تمكن العلاج الصوفي من الأمراض العضوية، وينطبق هذا الدليل على الولي أحمد بن يوسف الراشدي، الذي بصق في فم الخطيب القلعي الذي اشتكت منه نساء نسله، جراء عينه الشريرة التي ما أتت على شيء إلا و أمرضته[2].

و قد أشار البكري إلى أن هذه الخدمة الطبية قديمة عند البربر فيذكر أن أحد ملوك قبيلة برغواطة الأمازيغية كان يبصق في أيدي الناس فيشفون ، وهناك من يأخذ معه هذا الريق إلى مريض آخر إذا لم يستطع الذهاب إليه فيشفى من مرضه[3]. وهذه الخدمة العلاجية وهمية لا يتقبلها العقل السليم ، بل من الطرق العلاجية التي يتبعها السحرة والمشعوذين. كل هذا يتنافى مع الشريعة الإسلامية الصحيحة.

5.4 الدعاء:

يعتبر الدعاء نمطا من الأنماط التي اتبعها المتصوفة في علاج الأمراض المستعصية ، على اعتبار أن دعاءهم مستجاب فكان الشيخ أبو العلي من كبار الأولياء الصالحين الذين اختصوا بكشف كروب الناس من خلال الدعاء، ومنه فيبدو أنه مستجاب الدعوة[4]، وعلى سبيل المثال دعاء الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي لامرأة كادت أن تهلك بمرض عضال فشفيت بإذن الله تعالى.

كما دعا لامرأة أخرى بأن يعيش أبناؤها بعدما ابتليت بعدم عيشهم بعد الولادة ، وهذا ما يدل على صفاء قلب هذا الشيخ و حسن نيته أثناء الدعاء، و الذي يعتبر كرامة من الكرامات التي أودعها الله فيه[5]. وهذا النمط الاستشفائي مجاز و منصوص عليه في الشريعة الإسلامية.

الخاتمة :

من خلال ما تطرقنا إليه في هذه المحاولة التحليلية من مسارنا ضمن عناصر هذا المقال الهادف إلى عرض صورة عن الخدمة الطبية الصوفية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات وهي :

---

[1] _ المناقب المرزوقية،ص231.

[2] _ منير بقرار، المرجع السابق،ص143.

[3] _ البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، جزء من كتاب المسالك و الممالك**، دار الكتاب العربي، القاهرة،دت ،ص140

[4] _ جمال شريقي، المرجع السابق،ص42.

[5] _ سمية مزدور، المرجع السابق،ص177.

لقد استطاع الطب الصوفي إثبات وجوده في علاج الأمراض المستعصية سواء الروحية أو العضوية التي عجز الطب التجريبي علاجها مما أعطى ثقة عالية للمجتمع أو الساسة الكبار للتطبيب عند المتصوفة.

شكل الارتياح النفسي للمرضى عند مجيئهم للمتصوفة و الايمان بخوارقهم خطوة أساسية من خطوات العلاج و التي تساعد المرضى على الشفاء بنسبة عالية جدا

ارتبط الطب الصوفي لمختلف ممارساته العلاجية من المعتقدات الدينية القديمة في منطقة بلاد المغرب الإسلامي على وجه العموم التي أخذت من المادة المصدرية الشفهية السائدة في المجتمع ،و طب ملك قبيلة برغواطة خير دليل على ذلك، إضافة إلى الطواف بأضرحة المتصوفة و الأولياء الصالحين فهو معتقد قديم بقي حاضرا حتى الفترة الإسلامية.

الخدمة الطبية الشبه مجانية الصوفية وغلاء الطب التجريبي من الدوافع الرئيسية لازدهار العلاج الصوفي الذي لعب دورا كبيرا في خدمة ساكنة المغرب الأوسط .

لقد قدس مجتمع المغرب الأوسط للمتصوفة و الأولياء و زيارة قبورهم و أضرحتهم والدعاء إليهم من أجل جلب للاستشفاء من الأمراض و الأسقام. الأمر الذي يدل على ضعف الوازع الديني الذي ساد في أوساط هذه الساكنة لأن هذا الفعل نهت عنه الشريعة الإسلامية

قائمة المصادر و المراجع :

أ/ المصادر:

1 _ البكري أبوعبد الله (ت 487هـ_ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، جزء من كتاب المسالك و الممالك، دار الكتاب العربي، القاهرة،دت .

2 _الوزان حسن بن محمد ليون الافريقي (ت 957هـ_ 1559م)، وصف إفريقيا، ج1، نشر الكتاب بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض ، السعودية،1399هـ.

3_ ابن الطواح، عبد الواحد ،(بعد 718هـ_1318م)سبك المقال لفك العقال، تح : محمد محمود جبران ،ط2، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2007.

4 _ المازوني أبو موسى بن عيسى المغيلي (ت833هـ/ 1429م) ،صلحاء وادي الشلف مخطوط الخزانة العامة ، الرباط، رقم 2343.

5 _ ابن مريم عبد الله بن محمد المليتي(ت 1014هـ_ 1605م) ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، تح، محمد بن شنب،المطبعة الثعالبية، الجزائر،1908.

6 _ ابن مرزوق (ت 781هـ_ 1379م)، المناقب المرزوقية،ط1، تح: سلوى الزهري، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب،2008.

7 _ ابن منظور محمد الافريقي،لسان العرب ط6،دار صادر بيروت، 2008 .

8 _ العقباني محمد بن احمد التلمساني (ت 860هـ_1455م)، تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر ،تح شنتوف ،ع، 1966.

9 _ ابن الصباغ محمد بن أحمد القلعي(حيا 950هـ_ 1543م)بستان الأزهار، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم، 1707 و 1 ظ .

10 _ ابن قنفد أحمد بن الحسن، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تح: محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر ، الاسكندرية ، 2002 .

11 _ أنس الفقير و عز الحقير ،تح ، محمد الفاسي ،و أدولف فور،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط،1965.

12 _ التنبكتي أحمد بابا (1036هـ/1627م)، كفاية المحتاج، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،2000.

13 _ ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد(ت 780هـ_ 1378م) ، **بغية الرواد**، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011.

ب/ المراجع:

1 _ بونابي الطاهر ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2009.

2 _ بقرار منير ، سوسيولوجية الطب و التطبيب ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ مجتمع المغرب الأوسط، جامعة محمد لمين دباغين ،سطيف(الجزائر)، 2016.

3_ بلود عثمان ، الطب الشعبي بمنطقة تلمسان، دراسة تحليلية نقدية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد (الجزائر)، 2001.

4 _ المكاوي علي ، الأنثروبولوجية الطبية دراسات نظرية و بحوث ميدانية، القاهرة، 1996.

5 _ سعد الله أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981.

6 _ العامري نللي سلامة ، الولاية و المجتمع ،مساهمة في التاريخ الديني و الاجتماعي لافريقية في العهد الحفصي ، منشورات كلية الآداب ،منوبة،تونس، 2001 .

7 _ فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية ، عمرانية ، اجتماعية ، ثقافية، ج1، موفم للنشر ، الجزائر، 2002.

8 _ شريقي جمال ، الطب و الأطباء في المغرب الأوسط. رسالة لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة المغرب الأوسط، جامعة قسنطينة(الجزائر) ،2014.

9 _ الخطابي محمد العربي ،الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية ، المجلد العربي ،1988.

10_مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة،(الجزائر)، 2009.